

استلهاهم قيم التراث العربي في صنع الهوية الوطنية عينية لقيط بن يعمر الإيادي مثالا

حسن سعد لطيف *

جامعة المثني / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المعلومات المقالة	المخلص
تاريخ المقالة: الاستلام: 2019/2/25 تاريخ التعديل : -- قبول النشر: 2019 /3/19 متوفر على النت: 2019/7/4	إن من أهم سمات الهوية ومن أبرز مقومات وجودها وثباتها استلهاهم قيمها الأصيلة من روافد ثقافية تدعم حضورها ، وتمنعها من الاضمحلال والخفوت ، إذ تغذيها هذه الروافد وتديم حضورها على مدى العصور ، ولأن الأدب العربي – منذ أقدم عصوره – كان يحمل قيما مجتمعية لها سمات الحضور الدائم في صنع الهوية العربية ، فإن هذا الأدب ظل ينعش سمة الانتماء (المواطننة) والدفاع عن الأرض في كثير من نماذجه التي وصلت إلينا عبر التاريخ ، وفي الشعر الجاهلي تحديدا كانت قصيدة (لقيط بن يعمر) العينية مثالا بارزا لتلك الروح المحامية عن الأرض ، وصوتا مدويا في إعلان صورة المواطن المدافع عن هويته المتمثلة في الذود عن الأهل والوطن ، وحمايته وحماية تراثه من العدو المغتصب ، لذلك عبرت هذه القصيدة بجلاء عن قيم أصيلة مثلت هوية المواطننة ، فجاءت هذه الدراسة للبحث في مضامين هذه القصيدة المعبرة عن تلك القيم .
الكلمات المفتاحية : التراث العربي الهوية الوطنية لقيط بن يعمر الايادي	© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثني 2019

المقدمة

كينونتها بوصفها ذاتا فاعلة ؛ منضوية تحت مكونات مختلفة اجتماعية ونفسية وفكرية ، ومن هنا تبلور وتصاغ على وفق تعاطيها مع هذه المكونات التي تفرض وجودها ضمن دائرتها .

وليست الهوية التراثية انفلاتا من التاريخ وقيمه المتأصلة في حقبه المتواليه ، وإنما هي امتداد لذلك التاريخ والتراث الذي يغذي قيم الهوية ويحافظ على أصالتها وتجدها ، ويحفظها من الضياع ، لذلك تحتل

يحتل موضوع الهوية اليوم مساحة مهمة في كثير من الدراسات الإنسانية ، وربما كان من أبرز ملامح هذه الدراسات كثرة التساؤل حول مفهوم الهوية ، فهل هي مفهوم وجودي أم أنثروبولوجي ؟ وهل هي مجال لغوي أم كينوني ؟ وهل علاقتها بالدين والثقافة والسياسة هي دائما علاقة أزمة وصراع مع الآخر ؟ (1) إلا أن الهوية – بعيدا عن هذه التساؤلات - حين تعبر عن الذات وانتماءاتها وتقاربها أو تضادها مع الآخر فإنها تقع ضمن دائرة النزوع المعرفي الذاتي والمجتمعي المفصح عن

هوية حاضرة لقيم التمسك بالأرض والمحاماة عنها ، لأن تلك الأرض تمثل الوطن الذي يجب أن لا يغتصب ، وقد أرسل تلك القصيدة إلى قومه يحذرهم فيها من غزو كسرى لبلادهم ، فكانت منذ ذلك الزمن هوية بارزة لتصوير قيم المواطنة الأصيلة ، وستظل نبراسا مشعا يحيل في كل وقت وأوان إلى أهمية التراث العربي الأصيل في استلهاهم تلك القيم الراسخة التي تحض على التمسك بهوية الانتماء إلى الوطن ، وتسخير كل جهد من أجل الحفاظ على وحدته ومقدراته .

* * *

حينما تمثل الأرض محورا هاما في إبراز هوية وملامح الشخصية بأبعادها الاجتماعية والأيدلوجية المختلفة عندئذ تصبح هذه الأرض الوطن الذي تنتمي إليه الذات وترتبط به ، وبمقدار حميمية الارتباط تبرز سمات الألفة والانتماء إليه مشكّلة هوية الذات الشاعرة في وجوب الدفاع عنه ، ومسؤوليتها في حماية أمنه واستقراره ، لذا يبعث لقيط بن يعمر بهذه الرسالة إلى أهل موطنه مع الراكب الذي يسوق ناقته ويسرع بها نحو الجزيرة العراقية ، طالبا منه أن يحض سادتها ويخصم بالرأي الذي يراه واضحا لا شبهة فيه ، إن استجابوا له ولم يعصوا أمره .

موضوعة الهوية حيزا كبيرا اليوم في الدراسات النقدية والأدبية لشدة تعلقها بالسرد في أشكاله المتنوعة ، مما يدفع إلى البحث في علاقاته المختلفة بالذات والآخر والزمان والمكان والسيرورة التاريخية لمتغيراته وتحولاته ، ((ولا شك أن التراث يمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع ، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب ، فالهوية الموروثة هي مزوجة حية بين البقايا السلوكية والقولية والبقايا الأسطورية والموروث الميثولوجي العربي القديم والفلكلور ، ليكون ملامح الشخص ويحفظ سماته ويؤكد عراقته)) 2 .

ولعل من الطبيعي أن يتم ربط الهوية بالماضي وما تم فيه من مآثر ومفاخر ، فما بين الماضي والحاضر تتحدد قيم الهوية وتتجدد ، وتصبح نبراسا مرشدا لخدمة حضور فاعلية الذات في المستقبل ، وهكذا تلتحم آفاق الحضور الذاتي ما بين الماضي والحاضر والمستقبل ، لأن الهوية ((لا ترتبط بالماضي أكثر من ارتباطها بالمستقبل ، إنها اختلاف في خدمة الحضور)) 3 ، فقيمتها الحقيقية تؤخذ مما أبقته من حضور خالد وتراث أصيل يحفظه التاريخ على الدوام .

وقد كانت قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي العينية من أبرز القصائد المشهورة التي مثلت

الأشياء ، واستجلاء طبيعة الظواهر والعلاقات ،
والوعي بإزاء التحولات التقليدية والديناميكية . .
(5 ، وستظل تلك الهوية حاضرة في نفوسنا كلما
ازددنا تمسكا بإرثنا وأدبنا وقيمته الاجتماعية
المميزة التي خلدت حضورها في مسيرة الأدب
الطويلة باتجاهنا .

يا لهف نفسي إن كانت أموركم

شقي وأحكم أمر الناس فاجتمعا

ألا تخافون قوما لا أبا لكم

أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا

إني أراكم وأرضا تعجبون بها

مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا 6

كم يحز في نفسه أن يرى أهل موطنه متفرقي
الرأي والكلمة مشتتي الأهواء ، بينما اجتمع غيرهم
من الناس وأحكموا أمرهم ، فمضى إلى تأنبيهم
وتقريعهم لأنهم يأمنون على أنفسهم ولا يخشون
أقواما قد بيتوا لهم الضغينة ، وأعدوا لهم العدة
للقضاء عليهم ونهبهم ، فهو يبعث إليهم برسالته
محذرا من أولئك الأعداء الذين سيغزوهم سراعا
كغزو الجراد للأرض ، ولا يغفل أن يشبههم - وهم
معجبون بأرضهم وخيراتها - كسفينة تدنو من
أرض وطيئة وحلة غير صالحة للإبحار ، فإن لم

بل أيها الراكب المزجي على عجلٍ

نحو الجزيرة مرتادا ومنتجعا

أبلغ إيادا وخلل في سراتهم .

إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا 4

إن ارتباط الموضوعات التقليدية للقصيدة
العربية بأشكال مكانية معينة قد يوحى بدلالة
خاصة للمكان تتعلق بإبراز هوية الذات المرتبطة
به ، لذا يتعجل لقيط بن يعمر في إرسال هذه
الرسالة إلى أهل موطنه رغبة منه بالحفاظ على
تلك الأرض التي تمثل له الهوية والنشأة ، وعليه
فإننا يمكن أن نفهم النص بوصفه صورة خالدة
للدفاع عن الأهل والوطن شكلت أصالة تاريخية
في تراثنا منذ القدم ، ويمكن أن نجد أنفسنا في
لحظة تكوّن النص وولادته التي ارتبطت - في
معطياتها الخارجية - بلحظات معيشة من حياتنا
القائمة على استلهام قيم التراث ومخرجاته
الأصيلة .

هكذا يمكن أن تصبح هويتنا الوطنية
مستمدة من قيمنا الأصيلة التي توارثناها عبر
الأجيال ، فإن ((الهوية أيضا نزوع نفسي وتطبع
اجتماعي يولد في الذات تمرسات باتجاه استكنائه

ينتموا لأمرهم ويكموا رأيهم فستتحطم سفينتهم أو
تغرق .
أبناء قوم تأووكم على حنق ِ

لا يشعرون أضر الله أم نفعا

أحرار فارس أبناء الملوك لهم

من الجموع جموع تزدهي القلعا

فهم سراع إليكم بين ملتقطِ

شوكا وآخر يجني الصاب والسلعا

لو أن جمعهم راموا يهدته

شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا 8

إنه يحذرهم من غزو أمة مجاورة لهم ،
حانقون عليهم لا دين لهم ، ولا هم لهم سوى
القضاء عليهم وإبادتهم ، وهم ملوك الفرس
وأمرأؤها ، وقد جاؤوا بجموع جرارة كسيل
السحاب في أعلى السماء ، مسرعين إليهم وهم
يحملون أشد أنواع الأسلحة فتكا ، ولو أن
جموعهم رامت هدم أعلى قمم جبل ثهلان لانهد
وتصدع من شدة بأسهم وقوتهم .

هذا التخويف من العدو ومن شدة قوته
يفضي إلى إثارة دافع الحماسة في نفوس المقاتلين
من أبناء قومه ليستنهض فيهم همة الدفاع عن
تاريخهم الذي يوشك على الاندثار ، وبلدهم الذي
قد يؤول إلى الدمار ، لذا فإنه يبحث فيهم روح

هكذا نلاحظ شكوى الشاعر من ذلك الصراع
على البقاء وديمومة التاريخ ، ففي كل حضور زمني
يتمثل وجود الذات الإنسانية بدرجة انتمائها إلى
هويتها وتراثها ، والوقوف بوجه الغزاة الطامعين ،
لذا نجد حسرة الشاعر كبيرة لأنه يشعر بدنو
لحظة النهاية وسقوط ذلك المجد الذي أسسه
أسلافه ، وكأن ذلك يمثل نهاية من دنو أجله
بالذات ، فهو يستصرخ قومه أن لا يندشغلوا بغير
أرضهم وتراثهم ، وأن لا يكونوا لقمة سائغة
للطامعين بهم .

هذا التعبير عن التمسك بالوطن يمثل عند
لقيط هوية شخصية يريد لها الديمومة والبقاء ،
وقد تمثلت لديه برغبة الحضور الدائم في مواجهة
الصعاب ، وعدم السقوط عند الصدام مع الآخر
((إن الهوية الشخصية ليست ممنوعة
بصورة نهائية منذ الولادة ، بل تبني طيلة الحياة ،
وتُكتسب غالبا بالتعارض والقطيعة مع الجماعة
..)) 7 ، وهذا الصدام مع الجماعات الأخر أبرز
لنا قيمة الروح الوطنية عند الذات الشاعرة التي
تشكلت هويتها الحقيقية في ظل هذا الصراع بينها
وبين الآخر .

في كل معتمِل تبغون مزدرعا
وتلحقون حيال الشول أونة
وتنتجون بدار القلعة الربعا
وتلبسون ثياب الخز ضاحية

لا تجمعون وهذا الليث قد جمعا 10

هؤلاء الأعداء لا هم لهم سوى إعداد
الأسلحة وتهيئتها وصيانتها من أجل غزوكم ، حتى
أنهم لا ينامون الليل من أجل إتمام مهمتهم ، في
حين يرى الشاعر أن أهل موطنه ينامون ملء
جفونهم غافلين عما يحاك لهم من مكائد ،
وهؤلاء القوم يرمقونهم بنظرات حداد حامية
كالنار يتطاير منها الشرر ، لا يشغلهم الحرث
والزرع ، بل إن أرضكم هي مبتغاهم ، ولن يشبعوا
ويرتووا إلا من خيراتها اذا استأصلوكم وقطعوا
شأفتكم ، وأنتم منشغلون بحراثتها على غفلة مما
يجري حولكم من استعدادات حربية ، بينما هم
أعدوا العدة للغزو ، وأنتم لا شأن لكم سوى
الاهتمام بتلقيح نياقكم كي يكثر نتاجها ، وتربحوا
الأموال وتنعمون بلبس الثياب الفاخرة ، بينما
يجهز العدو عدته لقتالكم ونهبكم .

لقد أضححت تلك الهواجس تؤرق فؤاد لقيط
الباحث عن أمن بلاده الغافلين عما يحدث لهم

الحماسة للدفاع عنه بكل ما استطاعوا من قوة
ومن دربة ، وهو يقف هذا الموقف راجيا أن يجد
لديهم الحزم والعزم إزاء القوة الغاشمة التي أتت
للقضاء عليهم قضاء مبرما .

إن هذا الصراع مع الآخر يسهم في تشكيل
الهوية الوطنية ليس للذات وحدها فحسب وإنما
للذات المتحدة مع المجموع في هذا الصراع من
أجل البقاء ومن أجل التاريخ ، فلاشك إذن أن
تمثل الهوية الذات المفردة في هواجسها وهمومها
من أجل الجماعة ((كما وتمثل الهوية وعاء
الضمير الجمعي المتشكل لأي اتحاد إنساني ،
ومحتوى لهذا الضمير في الوقت ذاته بما تحمله
من عادات وقيم وتقاليد وأمزجة تكيّف وعي
الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق
الحفاظ على كيانها)) 9 .

في كل يوم يسنون الحراب لكم

لا يهجعون إذا ما غافل هجعا

خزرا عيونهم كأن لحظهم .

حريق نار ترى منه السنا قطعاً

لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم

من دون بيضتكم ربا ولا شبعاً

وأنتم تحرثون الأرض عن سفه

إذا يقال له أفرج غمة كنعنا

يسعى ويحسب أن المال مخلده

إذا استفاد طريفا زاده طمعا 12

يرى لقيط قومه وقد انقسموا فريقين ،
أحدهما قوي يكسر الأعداء ويبطش بهم ، وآخر
ضعيف سهلك فزعا من الحرب ، لكنه لا ينفك
يحذرهم شدة بطش العدو وقوته ، حتى أن ظل
هذا الجيش بدأ يحط عليهم من طرف مخوف من
أرضهم وسهجمهم عما قريب ، لذا هو يتمنى منهم
أن يشفوا غليل صدره برأي صائب ، تهدأ به
نفسه ويزول عنها الغم ، ولا يكونوا كمن يستقر
على الذل ويوطن نفسه لقبوله ، كأنه يحسب أن
جمعه للمال سيخلده ، لذا يبقى خانعا ذليلا كلما
ازداد كنزا للمال ازداد طمعا به وحرصا على زيادته .

لن تغني عنهم تلك الأموال شيئا إذا
استبيحت أرضهم وشردوا منها ، فالشاعر يبحث
عن ذاته في ظل الحفاظ على وحدة المجموع
وتماسكه وبقائه صامدا بوجه العواصف ، لذلك
يرى النقاد أن الذات كينونة إنسانية صغرى
تتماهى مع ذات جمعية أكبر منها تتمثل بالهوية ،
فالإنسان يبدأ بإدراك ذاته ضمن مكون اجتماعي
له ثقافة خاصة ومميزة ، ومنه يتزود بالقيم
المجتمعية والثقافية ، وهكذا يجد الفرد نفسه

من دسائس ، فكان لا بد من هذا الإنذار الصريح
ليدعوا كل ما من شأنه أن يزيد ثروتهم والالتفات
إلى ما هو أهم من هذا كله ، إنها الأرض التي
تؤويهم يريد العدو قطع دابرهم منها وتركهم صرعى
ومشردين بلا وطن .

وقد أضحى هذا النداء هاجسه الأوحده
ليتمكن من حث قومه على الحفاظ على أرضهم
وتراثهم ، لأنها بيضتهم التي يطمح العدو إلى الفتك
بها ، كما أنها هويتهم الوحيدة إذا ما تمكنوا من
البقاء أحرارا قادرين على العيش بأرضهم وهم
حكامها ويمثلون الأكثرية لا الأقلية ، فهوية
الأكثرية هي هوية التطابق مع الذات ولا تسمح
بالاختلاف معها ، وتمنع مجرد التفكيك بذلك ،
بخلاف هوية الأقلية التي يكون فيها الاختلاف مع
الذات لكنها تجاري الأكثرية وتجاملها ظاهرا وتخزن
النقمة عليها باطنا ، ويظل الصراع بين الهويتين
قائما وفعالا ومستمرا 11 .

أنتم فريقان هذا لا يقوم له

هصر الليوث وهذا هالك صقعا

وقد أظلكم من شطر ثغركم

هول له ظلم تغشاكم قطعنا

مالي أراكم نياما في بلهنية

وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

فاشفوا غليلي برأي منكم حسن

يضحي فؤادي له ريان قد نقعا

ولا تكونوا كمن بات مكتنعا

القديمة كما فعلوا في السابق عندما احتل جدهم
نخع أفضل البقاع في اليمن وهي بيشة .

لا ريب أن أهم تمثيلات الهوية الوطنية
ستتضح في مثل هذا الإعداد المطلوب للجيش من
أجل حماية الذمار (الوطن) ، والوقوف صفا
واحدا والتكاتف من أجل حفظ أمنه وأمن شعبه
من المكاره ، لذلك يرى بول ريكور ((أن الهوية
جملة من العلاقات والروابط العقلية
والاجتماعية والاقتصادية والثقافية نسجها تطور
تاريخي محدد في الزمان والمكان ، قاصدة أبعاد
ثلاث ، هي : علاقة الذات بذاتها وتنطوي على
الترجسية ، يقابلها الشعور بالدونية ، وعلاقة
الذات بالموضوع بالعالم الطبيعي والاجتماعي ،
وعلاقة الأنا بالآخر وتنطوي على المحاكاة والاقتداء
، ويقابلها الاستقلال والذاتية)) 15 ، وقد كان
لقيط يبحث عن ذاته في ظل اتصاله بشعبه وأهل
موطنه ، للحفاظ على مجدهم التليد وعزهم
المتوارث ، وفي ظل تعارضه مع الآخر للحفاظ على
تلك الذات مستقلة عنه .

اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا

حتى ترى الخيل من تعادها رجعا

فإن غلبتم على ضني بداركم

فقد لقيتم بأمر حازم فزعا

لا تلهكم إبلٌ ليست لكم إبل

ملزما منذ لحظة ولادته بقبول مفاهيم وأنظمة
كثيرة لم يسهم في صناعتها ، ومنها نظام اللغة
والأدب والزي وقواعد السلوك وغيرها ، وهكذا
تولد هوية الإنسان مع ولادته 13 .

فاقنوا جيادكم واحموا ذماركم

واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا

صونوا جيادكم واجلوا سيوفكم

وجددوا للقسى النبل والشرعا

واشروا تلادكم في حرز أنفسكم

وحرز نسوتكم لا تهلكوا هلعاً

ولا يدع بعضكم بعضاً لنائبة

كما تركتم بأعلى بيشة النخعا 14

يطلب الشاعر من شعبه صيانة الخيول
بتعهدا والحفاظ على تدريبها ، وصقل السيوف
وإعدادها ، وحماية الوطن وممتلكاته ، والصبر
على المكاره حتى لا يدخل الجزع نفوسهم ، وتجديد
الرماح والنبال القديمة استعدادا للدفاع عن
بلادهم ، فهو يطالبهم بأن يعدوا العدة الكافية
لمواجهة المحتل ، كما لا ينسى أن يطالبهم
بالحفاظ على تراثهم والاعتزاز به وحفظه في قلوبهم
، وحماية نساءهم من الغاصبين وعدم الخوف من
مواجهتهم ، والتماسك فيما بينهم وأن لا يدع
بعضهم بعضا في الشدائد ، وتناسي أحقادهم

إن العدو بعظمٍ منكم قرعا

هيات لا مال من زرعٍ ولا إبلٍ

يُرجى لغابركم إن أنفكم جُدعا

لا تثمروا المال للأعداء إنهم

إن يظفروا يحتووكم والتلاد معا

والله ما انفكت الأموال مذ أُبدٍ

لأهلها إن أصيبوا مرة تبعا 16

يطلب الشاعر من قومه أن يحدوا أبصارهم ويرسلوا العيون لكشف ما يخبئ لهم العدو من مكائد وراء أرضهم وأشجارها ، حتى يحققوا الظفر المنشود ، وتعود خيول العدو أدراجها خائبة من التمكن منهم وتفريقهم ، حتى وإن غلبوا فقد واجهوا العدو بحزمهم وحرصهم على الدفاع عن موطنهم حتى الموت ، لذا يطلب منهم عدم الانشغال بإبلهم ورعيها لأنهم سيفقدونها عند الحرب الضارية التي يستعد لها العدو بشراسة ، فلن يبقى لهم بعد ذلك إبل ولا مال ولا زرع إن تمكن منهم ، فكل ذلك سينهب ويوطأ بأقدامهم ، لذلك يهيب بهم لا تذلوا أنفسكم أو تخضعوا لهم ، ولا تهتموا باستكثار المال وجمعه وادخاره لأنه سيؤول للعدو إن غلبكم ، فالأموال تبع لأهلها إن ذهبت ذهبوا ، وإن دافعوا عن ديارهم بقيت مصونة لهم .

في هذا الخطاب الموجه بتقنية النداء العاجل يمكن ملاحظة حرص الشاعر على أن يكون لسان

حال قومه ، ومرآة عاكسة لتطلعاتهم في ظل صراع الحياة وتجاربها المريعة ، ومن خلال إثارتهم بهذه النداءات المتكررة تبرز صورة الهوية لدى الذات الواعية المطالبة بضرورة التمسك بحدود تلك الأرض ومنعها من أن تسلب ، مهما كانت خسائر الفرد بالغة قياسا بفائدة المجموع ، فلن ينفع جمع المال شيئا إذا ضاعت الأرض وسُلب الوطن ، واستسلم لقبضة الأعداء ومخالب السباع تمهشه من كل جانب وتأكل خيراته .

يا قوم إن لكم من عزّ أولكم

إرثاً قد اشفقت أن يودي فينقطعا

وما يردّ عليكم عزّ أولكم

إن ضاع آخره أو ذلّ فاتضعا

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم

ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه

همّ يكاد سناه يقصم الضلعا

فلا تغرنكم دنيا ولا طمع

لا تنعشوا بزماح ذلك الطمعا 17

يهيب الشاعر بقومه أن يذكروا ماضيهم المشرف الذي يمثل هويتهم التي لا تنسى ، تلك التي ورثوها عن آبائهم ، ويخشى أن يفقدوا ذلك المجد التليد إن تهاونوا في الدفاع عنه ، لذا يطلب منهم أن ينهضوا نهضة واحدة متبئين للدفاع عن

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا
على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي يجتث أصلكم
فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا 19

يرجو الشاعر من قومه أن يحاموا عن إرثهم بما أوتوا من قوة وغلبه ، فهو يخشى عليهم جور الدهر في نيل ما يعتزون به من ذلك الإرث العظيم ، فيتوجه إليهم بما يثير فيهم نخوتهم وغيرتهم ؛ نساؤهم إن كانوا عليهم غياري فيجب أن ينتهوا لما جنده لهم كسرى من جنود سيعيثون فيهم فسادا ، ولأنه يخشى تهاون قومه فهو يحذرهم أشد تحذير إذ أنه لن يكون بعد ذلك مصيرهم إلا الجلاء من هذه الأرض ، واقتلاعهم من جذورها بحيث لن يبقى لهم فيها أصل ، فمن منهم يرى ويسمع رأيا كهذا الرأي .

هكذا يطلب الشاعر من قومه التمسك بتلك الهوية الأصيلة التي تنوجد في الحفاظ على سماتهم وانتماءاتهم ، وإذا تمسكوا بها فإنهم يواصلون صنع هويتهم المتميزة ، لأن التصور الصحيح للهوية لا ينبغي أن يؤخذ من خلال الأفعال بعد حصولها فحسب بل من خلال حصولها أيضا ، لأن الأفعال بعد حصولها جزء

موطنهم وموئل مجدهم وعزهم حتى ينالوا الأمن فيه ، فلا يمكن للمرء أن يطمئن وينام حين يثيره همّ يفتت الأضلاع إلا إذا تمكن من إزالته ، لذلك يدعوهم بأعلى صوته : لا تغتروا بما منحتمكم الدنيا من هبات ، ولا تطمئنوا لأنكم لن تسعدوا بها طويلا إذا تهاونتم في الدفاع عن بلادكم .

إن الذات قد تلجأ إلى استحضار صورتها في الزمن الماضي لتؤكد على تمسكها بتلك الصورة التي تنظر إليها على أنها مثالية ، فتسعى إلى الاحتفاظ بها على الدوام في ظل متغيرات الزمن ، لذا يلجأ لقيط إلى محاولة الحفاظ على صورة الماضي لما يمثله من قيم اجتماعية تشكل هوية بالنسبة له ، ويكون استدعاء ذلك الزمن على سبيل الافتخار أولا ، ولتثبيت وترسيخ هوية البقاء على صورة الأمس المشرقة بما تحمله من قيم عليا ثانيا ، وما أحوجنا اليوم إلى اتخاذ هذه الوسيلة في الحفاظ على هويتنا الأصيلة في الدفاع عن الأرض ومقدراتها وثرواتها مهما كان الثمن ، حيث يتضح معنى الهوية الحقيقي ((في قيمة ما يقدمه الفرد للتعبير عن هويته الحقيقية التي اكتسبها من خلال الأرض التي ولد وعاش وفيها)) . 18

يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها

إني أخاف عليها الأزلم الجدعا

مستحکم السن لا قحما ولا ضرعا 21

اختاروا لأنفسكم قائدا قويا متحكما ذا خبرة ودراية بأمر الحرب وشؤونها ، مضطلعا بها ومطلعا على أهوالها وخفاياها ، نزيها لا يبحث عن الترف ورخاء العيش ، ولا يخشع أو يفزع عند الملمات والمصاعب ، ويسهر الليل من أجل راحة شعبه والحفاظ على أمن الوطن إذا أراد الأعداء طمعا في بلادكم ، ومن صفات هذا الزعيم أنه خبر أهوال الدهر بشدته ورخائه ، فيكون قائدا متبوعا من جنده ويستمتع كذلك إلى الرأي والمشورة منهم ، ولا يكون من ذوي الأعمال والأموال ، كي لا يهتم بها وبزيادتها من أجل رفعة أولاده وإعلاء مقامهم فينشغل بها وبهم عنكم ، ويجب أن يكون قوي الشكيمة ذا رأي وعزم وفي سن تجعله يسيطر على الأمور ، فلا يكون شيخا فانيا ولا ضعيفا قليل التجربة مستكينا .

إن خطاب الشاعر هنا - في حديثه مع شعبه - يكشف عن حالة التمزق والانكسار ، لأنه يعلم أن هويتهم الحقيقية لن توجد إلا في حريتهم وقدرتهم على مواجهة الخطب القادم ، وتمكنهم من مواجهة العالم الخارجي من أجل الحفاظ على تلك الهوية ، وحينما لا يمتلكون المقدرة على ذلك فإن تلك الصورة الجميلة للماضي المشرق ستؤول إلى حلم لا يلبث أن يتوارى خلف مرارة

من الواقع ، وتحمل أثبت السمات والعناصر المكونة لهوية صاحبها ، لذا يجب أن لا تتوقف الذات عن الفعل وعن إضافة أفعال جديدة لأفعالها السابقة ، ولا يكفي لمعرفة كيفية صنع هوية الذات أن نحيل أفعالها إلى حرياتهما ، لأن الفعل الحر يتحول إلى فعل حاصل ويدخل في نسيج هوية الفاعل ، لكن ذلك يحصل بعد حسم الاختيار من بين الأفعال الممكنة المتاحة أمام الذات الفاعلة 20 ، لذلك يتمنى الشاعر من قومه أن يضيفوا مجدا جديدا إلى مجدهم التليد بالوقوف صفا واحدا في الدفاع عن تراثهم ، لتبقى تلك الصورة القديمة مشرقة ومتجددة دائما . فقلدوا أمركم لله دركم .

رحب الذراع بأمر الحرب مطلقا

لا مترفا إن رخاء العيش ساعده

ولا إذا عض مكروه به خشعا

مسهد النوم تعنيه ثغورك

يروم منها إلى الأعداء مطلقا

ما انفك يحلب الدهر أشطره

يكون متبعا طورا ومتبعا .

وليس يشغله مال يثمره .

عنكم ولا ولد يبغي به الرفعا

حتى استمرت على شزر مريرته

يختار الشاعر من يتلاءم مع هذا المنصب قائدا مناضلا وزعيما حكيما وفارسا لا يشق له غبار، فمالك بن قنان كفو وصاحبه زيد القنا الذي عابه شخص في فروسيته فقال له: (استعد للنواب قبل وقوعها) وهو مثل مشهور، وحين هاجموه وجدوه شديد القوى في الحرب، يغير عليهم مرة بعد مرة حتى أعجزهم، وقتل أشد فرسانهم قوة وإقداما، فهو شديد الصدام في الحرب وليس عاجزا ولا جبانا خوارا، ويسرع إلى تلبية من يستنجد به، ويناهض كل من يتحداه، كما أنه ذو حسب أصيل وشرف رفيع يُتباهى به، وهو كمالك أجدر بالقيادة والزعامة .

إن الهوية - بحسب مارتن هيدغر - تشكل خاصية أساس لكيوننة الموجود من حيث أنه متوحد مع ذاته، ولا يمكن للموجود أن يظهر في كيوننته إذا لم تكن هوية موضوعه مضمونة في كل لحظة بشكل مسبق 24، لذا يكشف لقيط عن هوية موضوعه الذي يشكل قضيته في روح المواطنة الحققة عند اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب، فإن الوطن دائما بحاجة إلى قائد حكيم يدير شؤونه ويحفظ أمنه، فكانت هذه الصرخات المدوية من لقيط إيذانا بصنع تاريخ مجيد له ولقبيلته التي كانت تمثل هويته الصريحة، وتمثل أبرز ملامح الانتماء للأرض والمحاماة عنها بروح صادقة ووطنية وعبرة، ((فليست الهوية إلا مداركة الذات وتنهها للوجود،

العجز وخيبة السقوط، لذا فإن الباحث عن الهوية الحقيقية لا يمكن أن يخضع لقهْر هذا الوجود المتمثل بسلطة القوى الغاشمة، ولا يمكن أن يرضى بحالة الضعف والعجز والهوان وقلّة الحيلة، فالموت أهون من حياة النذل، فالهوية هي الذات في منظومتها الاجتماعية ((إنها السمة الجوهرية العامة لثقافة المجموعة، والهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية إنما هي مشروع منفتح على المستقبل، أي مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ، لذا فإن وظيفتها هي حماية الذات الفردية والجماعية من الذوبان)) . 22

كمالك بن قنان أو كصاحبه

زيد القنا يوم لاقى الحارثين معا

إذ عابه عائب يوما فقال له

دمت لجنبك قبل الليل مضطجعا

فساوروه فألفوه أبا علي

في الحرب يحتبل الرئبال والسبعا

عبل الذراع أبيتا ذا مزابنة

في الحرب لا عاجزا نكسا ولا درعا

مستنجدا يتحدى الناس كلهم

لوقار الناس عن أحسابهم قرعا 23

البقاء ، فأصبحت تلك اللحظة صوتا وجوديا معبرا عن هوية الذات الإنسانية في تعلقها بتاريخيتها ، والتصاقها بمكونات وجودها وبقائها على هذه الأرض ، ففي دوامة الصراع لا بد أن ينكسر قيد الصمت ليعلن عن تدفق تلك العاطفة التي تنادي هذا النداء المرمي من أجل الحرص على وجودها الطبيعي ، ومنع هويتها من الضياع إلى الأبد .

((ولعل من الأهمية بمكان القول : إن تشكل الهوية - أي هوية - واكتسابها خصائصها المميزة لها دون غيرها لا يعني ابتداء هذا التشكل لسماته من فراغ ، إذ أن قدر الهوية أن تتبلور بالمرور تحت مظلة الهويات الأخرى ، وتتأثر بها في مسيرة البحث عن كينوناتها ، إلا أنها - في الوقت ذاته - لا يمكن أن توسم بالهوية المستقلة الحقة إذا اقتصر بالاتكاء على مقدرات وإرث الهويات الأخرى اتكاء مستنسخا ، لأنها ستعاني - في النهاية - من الاضمحلال والضمور ، ولعل أبرز مقومات الهوية وعمود ثباتها هو الروافد الثقافية التي تغذيها وتديم حيويتها ، فالفئة التي تهمل من مورد ثقافي متشابه ستكون لها هوية مشتركة في سماتها العامة)) 27 .

هكذا ستمثل هوية لقيط بن يعمر الباحث عن كينونته في ظل اندماجه ببني إياد أهل موطنه هوية حاضرة في تاريخنا الحافل بالصراعات مع الآخر مهما تنوعت أشكاله ، وستظل عينيته

وفهمها لنفسها ومعرفتها لكيونتها ، واستيعابها لمتطلبات واقعها وممكناته تلازما أو افتراقا ، تضادا أو اتباعا)) 25 .

هذا كتابي إليكم والنذير لكم

فمن رأى رأيه منكم ومن سمعا

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل

فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا 26

أخيرا يقول الشاعر أنه أرسل إليهم كتابه هذا نذيرا لهم ، آملا أن يعملوا به ويصغوا إلى مضمونه خدمة لأهلهم وبلادهم ، وقد بذل لهم النصيح غير طامع بأجر سوى أن ينتهوا ويهبوا للدفاع عن أرضهم قبل أن يغزوهم القوم ، وأن ينتفعوا برأيه غاية الانتفاع ، فكانت تلك النصيحة جزءا من هويته الشخصية التي أراد لها أن تكون سمة دائمة الحضور لكل من يطمح أن يكون وجوده من أجل خدمة الأرض التي ينتمي إليها ، وخدمة أهل هذه الأرض لأنهم الثروة الحقيقية التي يجب أن تصان .

لقد بذل غاية النصيح من أجلهم ، ومنحهم ذاته مخلصا من أجل قضيتهم ، فهذه الذات أفصحت عن لحظة شعورية أملت وجودها القسري في كيان الشاعر وقلبه ، فما كان منه إلا البوح بما يجب أن يكون في عالم الصراع من أجل

وطنية ظلت تغذي ثقافتنا بهذا الانتماء الأصيل للوطن .

كان لقيط بن يعمر الإيادي من أبرز المنادين بوجوب المحاماة عن الأرض (هوية الانتماء) في قصيدته العينية التي مثلت تلك الروح الوطنية التي تسعى للدفاع عن الأهل والوطن ، وحماية أمنه وتراثه من السلب ، فكانت قصيدته صورة معبرة عن تلك القيم التي مدت ثقافتنا - منذ القدم - بأهمية المواطن بالنسبة للفرد ، وفاعلية الذات في تحديد قيم الهوية التي اتضحت صورتها في هذه القصيدة التي توارثناها عبر الأجيال ، وأصبحت جزءا من هويتنا عبر الزمن ، لأن الشاعر أراد لها أن تكون هوية شخصية دائمة الحضور والبقاء .

وقد تجلت قيم كثيرة مثلت هوية وطنية راسخة في تلك القصيدة ، فمن بينها أهمية إعداد الجيش المطلوب الحاضر دائما للدفاع عن الأرض وحماية أمنه وثرواته ، وإعداد القائد المناسب الذي يحظى بالكفاءة والمقدرة على قيادة الجيوش والنضال في سبيل الدفاع عن الوطن لا يشغله عن ذلك شاغل ، وأهم من هذا كله الدفاع عن تراث الوطن وتاريخه المشرف من أن يمتن لأنه يمثل هوية الحضور الدائم عبر التاريخ ، فلا يجب التهاون في الدفاع عنه ضد أي عدو يريد النيل من كرامة أهله ومقدراته .

الخالدة سردا حاضرا في كل وقت لاستذكار قيم الانتماء والتعلق بالأرض التي تحتاج من شعبها أن يحفظوها من الغزاة المعتدين কিفما كان جنسهم أو نوعهم ، وكيفما كان اعتداؤهم فكريا وثقافيا أو صداميا ، لأن الهوية هي نتاج عملية السرد الذي تمارسه الجماعات ، وهذا السرد يعبر عن صراع اجتماعي أو ثقافي أو أيديولوجي لكنه تعبير عن الهيمنة التي تمارسها جماعة على أخرى 28 ، فإذا تمكنت من فرض هيمنتها بالقوة وبالسرد فإنها تفرض هويتها على الطرف الأضعف ، لأن الهوية دائما هي صورة الطرف الغالب على المغلوب في كينونة الحضور .

خاتمة :

لا يخلو الأدب العربي - منذ أقدم عصوره - من تلك الإسهامات الفاعلة في رسم ملامح معبرة ، تفصح عن تمسك الذات المفردة أو الجماعة في الحفاظ على القيم الأصيلة الداعية إلى حب الأرض ووجوب المحاماة عنها ، لأنها تمثل موطننا لا ينبغي أن يغتصبه العدو أو يطأ ترابه أو يصل إلى تخومه ، وفي عالم كان يعج بالصراعات وحب التملك وبقاء الأقوى خرجت من أفواه الشعراء صرخات مدوية تنادي بأهمية الحفاظ على الوطن والحرص على سلامته ، فرسمت لنا ملامح هوية

أخيرا فإننا يجب أن نقرب وجود هذا التلاحم الواضح بين تراثنا التليد وحاضرنا الراهن ، لأن ذلك التراث ظل يمثل تيارا مغذيا لقيمنا ومعتقداتنا بأهمية الحفاظ على سمة الانتماء إلى الوطن ، فأصبح يمثل جزءا من ثقافتنا الدائمة في الحرص على الذود عن ترابه ضد كل معتد أو محتل ، وأصبح رافدا مهما في صناعة هويتنا الوطنية على الدوام ، لتبقى تلك الصورة المشرقة في تراثنا حاضرة ومتواصلة ومتجددة في صروف حياتنا مع تغير الأحداث وتعاقب الأزمنة .

الهوامش :

- 13- ينظر: الهوية والآخر (صالح زامل) : 130 ، وصراع الهويات ،
الذات في مواجهة الآخر (د. سمير الخليل) ضمن كتاب :
إشكالية الهوية في الثقافة العراقية : 5 .
- 14- ديوان لقيط : 82 – 83 .
- 15- بول ريكور ، الهوية والسرد : 31 .
- 16- ديوان لقيط : 83 – 84 .
- 17- نفسه : 84 – 85 .
- 18- مفهوم الهوية الوطنية (باقر جاسم محمد) مقال في صحيفة
الحوار المتمدن.
19- ديوان لقيط : 86 .
- 20- ينظر: الذات والحضور بحث في مبادئ الوجود التاريخي (
ناصيف نصار) : 107 .
- 21- ديوان لقيط : 86 – 87 .
- 22- إشكالية التعددية في الفكر السياسي المعاصر (حسام الدين
علي مجيد) : 185 .
- 23- ديوان لقيط : 88 – 89 .
- 24- ينظر: الفلسفة ، الهوية والذات (مارتن هيدغر) : 31 .
- 25- ذوتنة الهوية في الرواية العراقية (د. نادية هناوي سعدون)
ضمن كتاب : السرد والهوية ، أعمال مؤتمر السرد الثاني ،
الجامعة المستنصرية 2017 : 1 .
- 26- ديوان لقيط : 89 .
- 27- الهوية الثقافية الأندلسية ، النشأة والتحول ، كتاب الذخيرة
لابن بسام اختيارا (د. محمود شاكر) ضمن كتاب : السرد
والهوية ، أعمال مؤتمر السرد الثاني ، الجامعة المستنصرية
2017 : 249 .
- 28- الهوية والسرد ، دراسات في النظرية والنقد الثقافي (د. نادر
كاظم) : 79 .
- 1- ينظر: أزمة الأفكار أم أزمة الجماعات (علي حسين الفوزان)
ضمن كتاب : إشكالية الهوية في الثقافة العراقية : 141 .
- 2- تشتت الهوية في رواية الطريق لنجيب محفوظ (د. علياء
سعدى) ضمن كتاب : السرد والهوية ، أعمال مؤتمر السرد
الثاني ، الجامعة المستنصرية 2017 : 200 .
- 3- بول ريكور ، الهوية والسرد (حاتم الورفلي) : 137 .
- 4- ديوان لقيط : 76 .
- 5- ذوتنة الهوية في الرواية العراقية (د. نادية هناوي سعدون)
ضمن كتاب : السرد والهوية ، أعمال مؤتمر السرد الثاني ،
الجامعة المستنصرية 2017 : 1 .
- 6- ديوان لقيط : 77 .
- 7- التحولات السياسية وأثرها في أزمة الهوية وتأرجحها في رواية
عشاق وفونوغراف وأزمة (د. إسراء حسين جابر) ضمن
كتاب : السرد والهوية ، أعمال مؤتمر السرد الثاني ، الجامعة
المستنصرية 2017 : 25 .
- 8- ديوان لقيط : 78 .
- 9- انتصار الهوية ، رواية ساعة بغداد أنموذجا (د. سهام
السامرائي) ضمن كتاب : السرد والهوية ، أعمال مؤتمر
السرد الثاني ، الجامعة المستنصرية 2017 : 86 .
- 10- ديوان لقيط : 79 – 80 .
- 11- ينظر: تجلي الخطاب النقدي ، من النظرية إلى الممارسة (
محمد صابر عبيد) : 40 .
- 12- ديوان لقيط : 80 – 82 .

- المصادر والمراجع :
- 8 - الفلسفة ، الهوية والذات : مارتن هيدغر ،
ترجمة : د. محمد مزبان ، منشورات
ضفاف ، بيروت ، منشورات الاختلاف ،
الجزائر ، ط 1 ، 2015 .
- 9 - مفهوم الهوية الوطنية ، محاولة في
التعريف الوظيفي مقال (باقر جاسم
محمد) في صحيفة الحوار المتمدن ،
العراق ، العدد 1544 في 8 أيار 2008.
- 10 - الهوية والآخر : صالح زامل ، الدار
العربية للعلوم ناشرون ، بيروت 2012.
- 11 - الهوية والسرد ، دراسات في النظرية
والنقد الثقافي : د. نادر كاظم ، دار الفراشة
للنشر والتوزيع ، ط 2 ، الكويت 2016 .
- 1 - إشكالية التعددية في الفكر السياسي المعاصر : حسام
الدين علي مجيد ، مركز دراسات الوحدة العربية ،
بيروت 2010 .
- 2 - إشكالية الهوية في الثقافة العراقية المعاصرة :
مجموعة مؤلفين ، مطبعة الهرين ، ط 1 ، بغداد 2013 .
- 3 - بول ريكور ، الهوية والسرد : حاتم الورفلي ، دار
التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس 2009 .
- 4 - تجلي الخطاب النقدي ، من النظرية إلى
الممارسة : محمد صابر عبيد ، منشورات
ضفاف ، بيروت ، منشورات الاختلاف ،
الجزائر ، ط 1 ، 2013 .
- 5 - ديوان لقيط بن يعمر الإيادي على رواية
هشام بن الكلبي : شرح وتحقيق : د. محمد
التونجي ، دار صادر ، ط 1 ، بيروت 1998 .
- 6 - الذات والحضور ، بحث في مبادئ الوجود
التاريخي : ناصيف نصار ، دار الطليعة
للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2008 .
- 7 - السرد والهوية ، أعمال مؤتمر السرد
الثاني 8 - 9 أيار 2017 ، كلية الآداب /
الجامعة المستنصرية ، بغداد 2017 .

Abstract

It is one of the most important features of the identity and one of the most important elements of its existence and its steadfastness, inspired by its original values of cultural tributaries that support its presence and prevent it from decaying and subservience, fed by these tributaries and perpetuating its presence over the ages. In the making of Arab identity, this literature has revived the trait of citizenship and the defense of the land in many of its models that have reached us through history. In the pre-Islamic poetry, especially in Laqeet Bin Yaamur's poem is the declaration of the image of the citizen defender identity of defending the family and homeland , and protect it and protect the heritage of the rapist enemy, so this poem clearly expressed for authentic values represented the identity of citizenship, this study came to discuss the contents of this poem expressing those values.